هذه الصفحة

هل صحيح ان الماضي كان أجمل وأروع ؟.. تجد الجميع يتحدثون عن سحر الماضي وليالية وعن حلاوة بغداد وأيامها ويفتحون عيونهم مبهورين حين يقدم التلفزيون بعض برامجة القديمة التي كانت تصور بالابيض والاسود ..كل هذة أفعال صادرة عن حنين لماضٍ ندرك جميعا انه لن يعود ثانية.
هذة الصفحة جزء من الحنين لهذا الماضي الذي سنحاول ان نخرجه من بطون الصحف والمجلات والكتب القديمة ..ربما هي محاولة لتقديم الماضي بصورته التي كان عليها الى قارئ لم يعش احداثة ولم يلتقي بابطاله ..وقد يقال ان لاحد يريد ان يقرأ اخباراً قديمة خصوصا وان الصحافة الحديثة تتسابق في تقديم الخبر الجديد وتهتم باخبار المستقبل اكثر من اهتمامها بأخبار الحاضر فلماذا نصر نحن على ترميم الصورة القديمة ونحاول احياءها من جديد . ربما لاننا نسعى الى تقديم المتعة المعرفية للقارئ الذي يريد ان يعرف كيف كانت حياة العراقيين في العقود الماضية وهي بالتاكيد ليست دعوة للنكوص الى الماضي بل هي سياحة في صفحات جميلة ومثيرة نتمنى ان تروق للجميع.

المحرر

لمحات من سيرة جعفر العسكري .. أول وزير في الدولة العراقية الحديثة

يكشف الباحث والمؤرخ نجدة فتحي صفوت في هذا المقال المنشور عام ١٩٧٣ عن جوانب خفية في مسيرة السياسي العراقي جعفر العسكري الذي عين اول وزير للدفاع في العراق عام ١٩٢٢حيث يذكر الباحث(كان جعفر العسكري شخصية نادرة من شخصيات العراق التي تسلمت مقاليد المسؤولية في البلاد في بداية تأسيس الدولة العراقية الفتية وكثيرا ما سمعنا من عارفية عن شخصيته وخفة روحة وظرف دعابتة كما سمعنا عن شجاعته ولباقته السياسية وثقافته العسكرية والقانونية

ولم يكن لقب العسكري الذي الحق باسمه اشارة الى مسلكه وان كان عسكريا بل نسبة الى قرية عسكر التي ينتسب اليها باصله وهي قرية قريبة من مدينة كركوك.
ولد في بغداد سنة ١٨٨٥ وكان والدة مختارا لاحدى محلاتها ودخل المدرسة العسكرية التحضيرية فيها ثم تخرج من المدرسة الحربية التركية في الاستانة وأرسل في بعثة عسكرية للتدريب في المانيا فاقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد واشترك في حرب البلقان وجرح فيها.
ولما انتهت تلك الحرب وظهرت نوايا الاتحاديين العنصرية انضم الى (حزب العهد العربي) وكان من أنشط العاملين فية.. ثم نشبت الحرب العالمية الاولى فعين مرافقا للاميرال الالماني (فون سوشن) ومنح وسام (الصليب الحديدي) الألماني وكانت القيادة العثمانية قد وضعت خطة للاستيلاء على مصر فتولى جمال باشا السفاح قيادة الفيلق الرابع لمهاجمة مصر من الشرق وعهد الى جعفر العسكري باستطلاع الاوضاع في ليبيا.
ولكن كيف يصل جعفر الى ليبيا والبحر المتوسط يزخر ببوارج الحلفاء فتقرر ارسال جعفر في غواصة ألمانية الى برقة فذهب اليها واجتمع بالسيد احمد السنوسي واتفق على تدابير الحملة ولم يكتف بذلك بل توجة الى مصر متخفيا ودخلها لدراسة الحالة فيها وعاد بعد ذلك الى تركية فصدر الامر بتعينة قائدا عاما بعد ترقيته الى رتبة لواء وكان حامل هذة الرتبة في الجيش الالماني يحصل على لقب (باشا) تلقائيا وبدأت الحملة على مصر وليبا حيث قاد جمال السفاح القوات لمهاجمة مصر بينما كان جعفر ورجالة في ليبيا يعملون على تنظيم القوات النظامية والقبائل الليبية التابعة للسنوسي.
الا ان القوات العثمانية بقيادة جمال السفاح منيت بهزيمة على قناة السويس مما اضطر جعفر العسكري الى اجتياز الحدود المصرية بالقوات التي تمكن من تجهيزها في ليبيا وواصل زحفة في طريق الاسكندرية الى ان وصل الى مرسى مطروح فسحبت القوات البريطانية قوات كبيرة من جبهة قناة السويس وجردتها على جعفر العسكري في جبهة مرسى مطروح وهاجمته في البر والبحر واشتبك الجيشان بالسلاح الأبيض وجرح جعفر ثم أسر وجي به الى القاهرة واعتقل في قلعتها وفكر جعفر في طريقة للهرب من القلعة فعقد بطانيات بعضها ببعض متخذا منها حبلا وتدلى في الليل من إحدى النوافذ ولكنة كان ضخم الجثة فلم تتحمل البطانيات ثقلة وسقط على الارض واصيب بكسر في ركبتة مما اضطر الانكليز الى نقلة الى المستشفى.
في هذة الفترة كانت الثورة العربية التي قامت في الحجاز في بدايتها وكان الضباط العرب يلتحقون بها فقرر جعفر الانضمام اليها فسمح له بالسفر الى مكة بطريق البحر الاحمر فلما وصلها ألحق بالجيش العربي الذي كان مرابطا حول (المدينة المنورة) بقيادة الشريف فيصل الذي استقبل جعفر احسن استقبال وعينه قائدا عاما لقواتة التي بدات عملياتها بالاستيلاء على العقبة حيث اتخذها جعفر قاعدة حربية ثم سار شمالا حتى فتح دمشق وقبل تلك الحملة كان الجنرال اللنبي قد منح جعفر باشا وساما في مقر اقامته في فلسطين.
بعد احتلال سورية عين جعفر حاكما لمنطقة عمان ثم حاكما لمنطقة حلب ولما قامت الدولة العربية في سوريا وتوج فيصل ملكا عليها عين جعفر كبيرا لمرافقيه وبقى في هذا المنصب الى ان وقعت معركة ميسلون فترك سوريا مع فيصل الى فلسطين ثم برحها معه قاصدا اوربا.
في هذا الوقت كانت الثورة الوطنية في العراق قد اشتد أوارها حتى حملت الانكليز على تغيير سياستهم في العراق وتأسيس حكومة وطنية فتألفت أول حكومة مؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب وطلب الى جعفر العسكري وكان قد وصل الى بور سعيد في طريقه الى أوربا مع فيصل أن يعود الى العراق للاشتراك في الحكومة وزيرا للدفاع في دولة العراق الحديثة.
وهذه الصفة كانت المهمة الأولى التي القيت على عاتقه انشاء الجيش العراقي الوطني تمهيدا لتأسيس دولة عربية واحتفظ جعفر بمنصبه هذا في وزارة النقيب ثانية ولما عقد مؤتمر القاهرة المشهور في اذار سنة ١٩٢١ برئاسة تشرشل وزير المستعمرات البريطانية حضره جعفر العسكري وفي هذا المركز تقررتاسيس الدولة العراقية ونصب فيصل ملكا عليها.
وفي سنة ١٩٢٢ عين جعفر باشا أول ممثل للعراق في بريطانيا ولكنه استدعي بعد سنة واحدة وعهد اليه بتاليف الوزارة وبقي في رئاسة الوزارة حتى آب عام ١٩٢٣ ثم استقال منها فخلفه ياسين الهاشمي وعاد هو الى لندن وزيرا مفوضا وفي لندن انتمى جعفر الى احدى كليات الحقوق ودرس القانون واكمل دراسته ونال شهادته.
وفي تلك الفترة استدعي من جديد الى بغداد وعين وزيرا في الوزارة التي ألفها ياسين الهاشمي في آذار من عام ١٩٣٥ وكانت هذة المرة الخامسة والاخيرة التي يتولى فيها هذة الوزارة التي احبها وخدمها مدة طويلة.
وفي أواخر عام ١٩٣٦ فاجأ بكر صدقي وزارة الهاشمي بانقلابه المعروف فقرر جعفر الخروج لمقابلة القطعات الزاحفة على بغداد وكان واثقا انة يستطيع بتأثيره الشخصي ان يثنيها عما تعتزمه ويحبط محاولة بكر صدقي معتمدا على مايكنة الضباط له من محبة واحترام لكن بكر صدقي كان يعرف ذلك ايضا فلما بلغة خروج جعفر ارسل اليه من يقتله قبل وصولة الى مقر القوات وهكذا انتهت حياة الرجل بصورة درامية كما كانت دائما وكان في الحادية والخمسين.
كان جعفر العسكري شخصية ظريفة وسياسياً مرحاً وصاحب نكتة وتروى عنه قصص طريفة متنوعة وكان بدينا مكتنز الجسم ذكيا كثير القراءة وجاء في التقرير الذي اعدته السفارة البريطانية عن الشخصيات العراقية لسنة ١٩٣٥ ومحفوظ بدار الوثائق البريطانية في لندن الوصف الاتي: (يتكلم العربية والتركية والكردية والارمنية والفارسية والالمانية والفرنسية والانكليزية . ضخم الجسم متقلب المزاج بطبيعته نزيه حسن النية ولطيف المعشر ميال الى تبني مواقف اقل حدة ليست لدية قدرة على الدسائس ويخدع بسهولة متكلم جيد وتكتيكي ممتاز شجاع ويقظ في المعارك).

فيصل الاول مع بعض معاونيه ويبدو جعفر العسكري في يمين الصورة

سليمة مراد تتحدث:

زواجي من ناظم الغزالي كان عذريا

سليمة مراد او سليمة باشا كما كان يطلق عليها العراقيون انذاك الفنانة التي حصدت المجد والشهرة والمال وذاع صيتها بين العواصم في هذا الحوار الذي اجراه الصحفي الراحل غازي العياش قبل ٤٠ عاما ونشرته مجلة الاسبوع العربي اللبنانية تروي سليمة باشا حكايتها واحزانها وافراحها : (اللوعات كثيرة في حياتي رافقتني منذ صباي وحتى يومي هذا .. حصلت على لقب (باشا) واغدقت علي الاموال بلا حساب ونثرت الجواهر وتبعثر الذهب تحت اقدامي واصبحت مطربة تحتل القمة .
وذاعت شهرتي بين العواصم العربية والاوربية .. وفي بغداد وقفت ام كلثوم تخاطب الالاف من مستمعيها وهي تمني ان تمتلك حنجرة صافية قوية كالتي تمتلكها مطربة العراق سليمة مراد. ورغم هذا كله بقي قلبي ممزقا لايعرف غير الوحدة تنزف جروحه دما واللوعة تترعرع بين ضلوعي وعندما بدات جروحي تلتئم وتعرف نفسي المتعة الصادقة فقدت الانسان الذي وفر لي كل ما تمنيت بعد ستين عاما من الحرمان؟!).
وتبكي سليمة مراد بصوت مسموع .. واجهشت في البكاء ومرت نصف ساعة تحاول عبثا السيطرة على نفسها وترفع عينيها المبتلتين بالدموع الى صورة ناظم الغزالي المتصدرة صالون بيتها وبصوت تكسره العبرات عادت تقول: كان بالنسبة لي الوسادة المريحة التي اسند اليها راسي بثقة .. لم نكن متزوجين ولم يكن الجنس له وجود بيننا عشنا معا سبع سنوات تربطنا رابطة الاحساس المرهف والشعور الفياض البريء المستمد من الفن كنت انظر اليه كطفل مدلل علمته النغم والمقام العراقي بكل زواياه وعلمني الصبر والثقة بنفسي فاعادني الى الغناء بعد ان اعتزلته كان هو دافعي في الحياة وكنت السلم الخفي الذي صعد به طريق المجد .
وجاء من يتهمني باني قتلت ناظم .. اتهمني الذين جاءوا الي بعد موته يطالبون بساعة ذهبية ليضعها ابنهم في معصمه وتراب قبر ناظم لم يجف بعد.
وتسكت سليمة مراد التي حصلت على لقب (باشا) بعد اربعة رؤساء وزارات في العراق وتطرق براسها الى الرسالة التي تلقتها من ام كلثوم قبل عشرين عاما وفيها تخاطب سليمة مراد (ستي سليمة باشا) وترفض اطلاعي على الرسالة في حديثها : لم اكن يوما بحاجة الى ام كلثوم لابني مجدي الفني اني شغلت مئات العقول من السياسيين الكبار .. واغرقت الكثير من الجيوب العامرة بسببي حتى ان البعض كان ياتيني بسندات ملكية عقارات متوسلا بي كي يكون احد عشاقي وما زلت اذكر التاجر الحلبي الذي ارسل الي من حلب اوراق تملك احد بيوته في الشام وعندما اعدت له الاوراق شاكرة باع البيت وارسل لي ثمنه ولم اطلب الحب من احد وكان المئات يزحفون على

ناظم الغزالي

سليمة مراد

ركبهم من اجل الكلمة الكاذبة التي يقولها لساني دون احساس من قلبي وهي (احبك) والتي قلتها مرات بلا احساس او شعور بل من اجل التسلية وجبر خاطر مئات من العشاق المتيمين بحبي!.
وذات يوم فكرت ان اهجر الاضواء والمجد والشهرة والمال وانزوي في طيات النسيان مع بائع لبن او بائع دواليب الاطفال على ان اكون سعيدة مرة واحدة في حياتي. كنت تعسية في طفولتي وشقية في شبابي ومجدي كان الله جلت قدرته اراد ان يعوضني في شيخوختي فبلل قطر الحب شفتي ثم عاد وايبس فوقها اخضرارا حلاوة عمري عندما خطف مني ناظم الغزالي.
وتسند جبينها الذي احتلته سطور التجاعيد بكفها وهي تصف اعنف واحرج موقف صادفته في حياتها بينما نعش ناظم الغزالي تحمله اذرع عشاقه واصدقائه وتودعه اهات المعجبات كان رجل البوليس يجلس الى جانب سليمة مراد يستنطقها في تهمة قتله. هل من المعقول ان افعل هذا بناظم انا اقتل طفلي المدلل وحبي البريء واملي الوحيد شلت يداي واليد التي تريد به السوء انا دست له السم؟! هذا ماقالوه حتى ينالوا ما تركه ناظم الغزالي وليتهم جاءوا لي دون اشاعتهم القذرة هذه لاعطيتهم ما يريدون كل ما ترك ناظم الغزالي وما املك لاني زاهدة في المال والاملاك بل زاهدة في الدنيا كلها بعد رحيله؟!.
ترفع راسها ثانية وتقول: انني اعيش الان في نار لا ترحم ولكنها ليست نار الحب بل نار الفرقة التي احرقت ضلوعي ان الانسان الذي انكوي بناره كان بالنسبة لي الامل والنور والطريق الواسع الذي لايعرف الاشواك الدامية صحيح ان فارق العمر بيننا كبير ولكن الحب الصافي والاحترام الذي كان يظللنا اذاب كل الفوارق.
ولاذت بالصمت لفترة طويلة جففت خلالها دموعها العالقة باهابها وابعدها كلاما عن ناظم الغزالي وتبقيه في قلبها وذكراه تمتزج في دمها وسالتها عن لقب (باشا الذي اقترن باسمها: الجمهور هو الذي منحني هذا اللقب فذات يوم اخذ الطرب بمشاعراحد الحاضرين في المكان الذي كنت اغني فيه فوقف صارخا انت باشا واحسن من الباشا ومن يومها يهمني الجمهور وطربه بجملة (ياسليمة با شا) ومن يومها اقترن اسمي بلقب سليمة باشا .. وترتسم ضحكة خفيفة على شفتيها اليابستين كارض جرداء تستجدي المطر وتروي حادثة: واجه مجلس الوزراء العراقي ازمة عندما اعترض احد وزراء من الذين يحملون لقب باشا على حملي هذا اللقب واقترح اذاعة بيان رسمي من اني لااحمل اللقب ولكن رئيس الوزراء تلافى الامر مخاطبا الوزير المعترض. ارجوا ان لاتذكر هذا الكلام خارج المجلس حتى لاتطالبنا سليمة مراد بأجور الدعايا للقب الباشا وضحك الجميع لان رئيس الوزراء نفسه يحمل لقب الباشا.

صاحب أقدم محل للتصوير في بغداد

قدري: والدي استدعى مصورة أجنبية لتصوير النساء

كيف دخل التصوير الفوتوغرافي .. ومن كان له الفضل في انتشار هذه المهنة في بغداد .. وما هي اطرف الحكايات التي مرت على صاحب ستوديو قدري يرويها المصور قدري عبد الرحمن في هذا التحقيق الصحفي وفيه يروي قدري ذكريات جميلة عن بغداد وعن بداية دخول التصوير الفتوغرافي الى العراق باعتبار ان والده المصور عبد الرحمن يعد من أقدم المصورين الذين عرفتهم بغداد.
يقول قدري: دخل التصوير الفوتغرافي الى العراق اوائل القرن العشرين عن طريقين الاول الدولة العثمانية التي كانت عاصمتها استنبول مثالا يقتدى به للتقدم والتطور في باقي ولايات الدولة ومنها بغداد .. اما الطريق الثاني فهو الهند التي كانت تجارتها مع العراق مزدهرة انذاك وكان من اوائل المصورين في بغداد دونوتشيان وهو ارمني وداود غزالة وهو من مدينة الموصل. وعن ابرز الاحداث التي تمتلك الصور الفوتوغرافية عنها يقول: والدي كان اول من اسس محلا للتصوير في بغداد عام ١٩٢٠ وقد عاش الكثير من الاحداث في بغداد وقد صور احداث ثورة العشرين والاحداث السياسية التي تلتها ولما كان التصوير في بغداد حديثا والحالة الاجتماعية مغلقة انذاك فلم يكن يسمح للمراة ان تصور من قبل رجل مما اضطر والدي الى استدعاء امراة اجنبية لتصوير النساء وامتلك آلاف الصور النادرة التي تؤرخ الاحداث التي مرت بالعراق.
وعن صور الفنانات التي يحتفظ بها يقول: لقد قام والدي بتصوير عدد كبير منهن مثل المغنية المشهورة (جميلة) وبدرية انور ومنيرة الهوزوز ومريم كجك وصديقة الملاية وزكية جورج وصور نادرة للسيدة ام كلثوم عند مجيئها الى بغداد. وعن اطرف حادثة صادفته خلال عمله في هذه المهنة قال: كان ثمة شخص اعمى يعتبر نفسه زبونا دائما للمحل فكان لايمر اسبوعا دون ان يلتقط لنفسه صورة مصطحبا معه احد اقاربه ليصف له الصورة التي التقطها له وكان الاكثر طرافه أن هذا الشخص يدفع اجرا شهريا لكي اعلق صورته في واجهة المحل.

الزهاوي وحكاية اول مدرسة للبنات

في عام ١٨٨٩ قرر الوالي نامق باشا تأسيس أول مدرسة للبنات تضم الدراستين الابتدائية والمتوسطة وأطلق عليها اسم (اناث رشيدية مكتبي) وكان الوالي قد عرض على مجلس ولاية بغداد موضوع تأسيس هذه المدرسة وطلب منهم اختيار البناية التي تتوفر فيها الشروط ا لاتخاذها مدرسة للبنات
١- ان لا تكون احدى الدور المجاورة متسلطة عليها
٢- ان لاتكون شبابيكها مطلة على الطريق
٣- ان لاتكون في الدور المجاورة اشجارا
وكان الشاعر جميل صدقي الزهاوي أحد أعضاء الولاية فقال .
ان الشروط والمواصفات التي طلبتموها لا تنطبق الا على بناية واحدة، لم ارَ مكاناً اليق منها لتصبح مكتبا للاناث..
فقال الوالي : قل يا استاذ.. فقال الزهاوي
ان البناية الملائمة هي حوض منارة جامع سوق الغزل (جامع الخلفاء) اذ هو المكان الوحيد الذي تتوفر فيه كل هذه الشروط المطلوبة فهو أعلى مكان في بغداد لايشرف عليه بناء ثم ان البنات يصعدن سلالمه دون أن يراهن احد وليس له شبابيك ثم اذا تكلمن لايسمعهن احد فضحك الوالي وضحك الجميع وعرفوا ما قصده الزهاوي ثم اتفقوا على اختيار أحد الدور الواقعة قرب محلة الميدان لتكون مكانا للمدرسة وتم تعين السيدة (أمينة شكروه خانم) مديرة للمدرسة ومعها ثلاث معلمات وتم تسجيل ٩٠ طالبة في اولى سنوات المدرسة.